الفصل الثانى
حركة المازيار

لم تنتهى الحركات المعادية للإسلام من قبل الموالى الفرس طوال العصر العباسى الأول ، فهى عبارة عن سلسلة متواصلة الحلقات موحدة الهدف الذى تسعى إلى تحقيقه وهو إحياء الديانات القديمة التى كانت منتشرة فى بلاد الفرس قبل ظهور الإسلام وما يتعلق بها من عادات وتقاليد فارسية الأصل والنشأة ، وفى الوقت نفسه الحط من شأن العرب والمسلمين ومحاولة الإعتداء على القيم الإسلامية بالهدم أو التشويه والتشكيك .

ولم تتوقف هذه الحركات الهدامة عن إثارة الفتن وتقليب الأمور طوال هذه الفترة ، وكلما تم القضاء على أحدها ظهر ثائر آخر يعلن ثورته وتمرده على العباسيين وينادى بمبادىء هدامة وتعاليم فاسدة ، فلم يكد الخليفة المعتصم ينتهى من ثورة بابك التى هددت ملكه وإثارة الاضطراب فى جوانب الدولة الإسلامية وأفنت كثيراً من جنده وقواته وأضاعت أمواله وأهلكت الحرث والنسل حتى فوجىء باضطراب الأحوال فى إقليم طبرستان بسبب رغبة المازيار فى الاستقلال بطبرستان عن ولاية خراسان .

أولاً - استقلال المازيار عن الخلافة العباسية :

فتح طبرستان

اضطربت الأحوال بالمشرق فى إقليم طبرستان وهى بلاد عرفت بالحصانة والمنعة بسبب ما تحتويه من جبال ممتنعة صعبة تكثر بها الأشجار والدغل ، فهى مخيفة وخمة قليلة الارتفاع كثيرة الاختلاف والنزاع[١] .

كانت طبرستان قبل الفتح الإسلامى لها خاضعة لملوك الفرس فكانوا يولون عليها بعض الرجال الذين يثقون بهم ويسمونه الأصبهذ[٢] وكانوا إذا أسندوا ولاية طبرستان إلى رجل لم يعزلوه عنها حتى يموت ، فإذا مات أقاموا مكانه ولده وإلا وجهوا إليها رجلاً آخر .

---

(١) ياقوت الحموي - معجم البلدان ٤/ ١٢ . (٢) هو رئيس الجنود .

وظل الأمر على هذا النحو حتى جاء الإسلام وفتحت المدن المتصلة بطبرستان وكان صاحب طبرستان يدفع الشيء اليسير إلى المسلمين فيقبل منه لصعوبة المسلك ، فلما ولى عثمان بن عفان ﷺ أسند ولاية الكوفة إلى سعيد ابن العاص ، فلما استقر له الأمر خرج إلى خراسان ففتح طميس[١] وصالح ملك جرجان على مائتى ألف درهم كان يؤديها إلى المسلمين[٢] .

وافتتح أيضاً من طبرستان الرويان ودنياوند وأعطاه أهل الجبال مالاً كثيراً[٣] .

فلما ولى معاوية بن أبى سفيان (٤١ ـ ٦٠ هـ) الحكم بعث مصقلة بن هبيرة فسار إليها ومعه عشرون ألف رجل فأوغل فى البلد يسبى ويقتل ، فلما تجاوز المضايق والمسارب الغائرة انحصر عند الانصراف والرجوع وانهالت عليهم الحجارة والصخور من الجبال فهلك أكثر جيشه فكان المسلمون بعده لايتوغلون داخل هذه البلاد[٤] .

وفى أيام الخليفة سليمان عبد الملك ولى يزيد بن المهلب خراسان وسار حتى دخل طبرستان فاستغاث الأصبهذ بالديلم فأنجدوه وتقاتل مع يزيد أياماً ثم صالحه على أربعة آلاف درهم وسبعمائة ألف درهم مثاقيل فى كل عام وأربعمائة وقر زعفران وأن يواجهوا فى كل عام أربعمائة رجل على رأس كل رجل ترس وجام فضة وذلك بعد أن فتح يزيد الرويان ودنياوند وظل هذا الصلح حتى ولى أبو جعفر المنصور الخلافة ثم نقضوا الصلح ومنعوا العطاء .

فلما كان العصر العباسى الأول وفى خلافة أبو جعفر المنصور وجه إليهم خازم بن خزيمة التميمى وروح بن حاتم ومرزوق أبو الخصيب فنزلوا على طبرستان فافتتحوا الأجزاء السهلية منها لأول مرة ، أما المنطقة الجبلية

---

(١) طميس ـ بلدة من سهول طبرستان وهى آخر حدودها (معجم البلدان ٤/ ٤١) .

(٢) وقيل إن سعيد لم يخرج إلى خراسان غازياً وفاتحاً إلا بعد أن وافاه كتاب من مرزبان طوس يدعوه فيه إليها .

(٣) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ٤/ ١٥ .

(٤) المصدر السابق ٤/ ١٥ .

وبخاصة جبال شروين الواقعة فى أطراف طبرستان لم تكن قد فتحت بعد لأنها كانت صعبة وموحشة[١] .

بقيت هذه الأماكن دون فتح حتى افتتح موسى بن حفص بن عمرو ومازيار بن قارن جبال شروين من طبرستان وهى من أمنع الجبال وأصعبها ، وكان ذلك فى أيام الخليفة المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ) حيث تمكن مازيار بن قارن من قتل سابور بن شهريار الذى كان يسيطر على جبال شروين آنذاك وكان قتله فى عام ٢١٠/ ٨٢٥ .

عند ذلك بادر الخليفة المأمون بتوليه المازيار على بلاد طبرستان وسماه محمداً ومنحه مرتبة الأصبهذ التى كانت تعطى لمن يلى هذه الأماكن .

وذكر الطبرى أن المأمون كان يكتب إلى المازيار بقوله .. من عبد الله المأمون إلى جبل جيلان اصبهذ اصبهذان محمد بن قارن مولى أمير المؤمنين[٢] ، وكانت تسميته باسم محمد جعل بعض الباحثين يذهب إلى القول بأنه قد أسلم على يد المأمون وسمى محمد وهورأى نراه جدير بالتقدير ، فهو لا يبعد كثيراً عن الصواب[٣] .

وعلى كل حال فإن المازيار ظل والياً على طبرستان حتى توفى المأمون وجاء المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ) فأقره فى ولاية طبرستان ولم يعزله .

ظل المازيار على وفائه للخلافة العباسية ولم يفكر فى الخروج عليهم فترة طويلة مقدار ست سنين من خلافة المعتصم لم تشر المصادر إلى أى تمرد أو خروج صدر عن المازيار .

وفى الوقت نفسه كان الخليفة المعتصم مهموماً بسبب فتنة بابك ، وفى عام أربع وعشرين ومائتين أعلن المازيار التمرد والعصيان على المعتصم ورفض إعطاء الخراج وقاتل عساكر الخليفة وكان السبب فى ذلك أن المازيار كان منافراً وكارهاً لعبد الله بن طاهر نائب الخليفة على خراسان فرفض أداء الخراج إلى والى خراسان وقال لا أحمله إليه ولكنى أحمله إلى أمير المؤمنين فكان

---

(١) عبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ص٤٠٨ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ٩/ ١٠٠ .

(٣) اليعقوبي ـ تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٣٥ .

المعتصم يبعث بأحد رجاله ليأخذ الخراج من أصحاب المازيار بهمذان ويسلمه إلى وكيل عبد الله بن طاهر فيرده إلى خراسان وتفاقم الأمر وعظم الشر على مر السنين وكان عبد الله بن طاهر والى خراسان يكتب إلى الخليفة ليعلم عصيان المازيار وظل الأمر على هذه الحالة حتى طفر الأفشين ببابك فعظم محلة وارتفعت منزلته عند المعتصم .

ثانياً. تشجيع الأفشين للمازيار على التمرد :

تطور الأمر وتفاقم عصيان المازيار فامتنع عن أداء الخراج نهائياً عن الخليفة واعتذر عن ذلك بأنه مشغول بقتال أهل الديلم المجاورين حيث كان بالفعل منذ أيام المأمون قد قهر ملكهم سابور بن شردين وأسره وقتله وأصبحت من ألقابه جيل جيلان وهو ألقاب بلاد الديلم ، حتى أن المأمون عندما كان يراسله كان يسميه جيل جيلان أصبهذ أصبهذان[١] .

أخذ الخليفة فى ملاطفته فأرسل إليه رسولاً من قبله فرفض أن يسمع له وقبض على القواد العرب فى بلاده وأعلن خروجه على الخلافة العباسية على أساس أنها خلافة تمثل العرب ، مما يدل على حقده وكراهيته للعرب ، ثم عمد إلى أهل آمل وأهل سارية[٢] وهم من أهل خراسان المسلمين ومن أنصار الدولة العباسية فحبسهم وكانت عددهم عشرين ألفاً[٣] ، وحرض الناس على قتلهم لولا أن الناس ترددوا فى ذلك .

كما هدم عدداً كبيراً من المدن وأمر بتخريب سور آمل وسور سارية وسور طميس فخربت جميعاً ، ويلاحظ أن غالبية هذه المدن كان يسكنها المسلمون فهذا يؤكد كراهيته للعنصر العربى ، فالموالى من الفرس كانت لديهم عصبية فارسية ضد العرب وقويت هذه العصبية فى العصر العباسى الأول فقد تملكهم العجب كيف غلبهم العرب ، وعبر بعضهم عن هذا المعنى بأن حكم العرب لهم ضرب من سخرية القدر وكانوا يفخرون على العرب

---

(١) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٩/ ١٠٠ ، وعبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ٤١٠

(٢) مارية ـ مدينة بطبرستان . (ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ٣/ ١٧٠) .

(٣) الطبري ـ تاريخ الرسل ٩/ ١٠١ ، وابن الأثير ـ الكامل ٥/ ٤٥٥ ، وماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ٤٠٩ .

بمجدهم القديم وعزهم التالد بأنهم أصحاب الحضارة العظيمة ، وكان الفرس يتعصبون أحياناً للبلدان ، فأهل خراسان مثلاً من أشد الناس عصبية بعضهم لبعض وهذه النزعة كانت متوفرة عند كثير من الفرس كانوا يكرهون العرب وإن كان منهم من دخل الإسلام وحسن إسلامه ورسخ الإيمان في قلبه فأنساه العصبية للمكان أو للجنس وإنما كان يؤمن بإسلام سوّى بين الناس جميعاً وجعل مقياس التفاضل بين الناس التقوى والعمل الصالح[١] ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٢] .

فكراهية الفرس للعرب وإضمار الحقد والبغض لهم كان شعوراً قوياً داخل نفوس بعض الفرس بعد أن دخلوا الإسلام وكان هذا الشعور مازال يسيطر على كثير منهم ، وقد ظهر هذا بوضوح في الحركات الثورية الهدامة التي قام بها الموالي من الفرس خلال تلك الفترة ضد الخلافة العباسية .

وأياما كان الأمر فإن المازيار لما عزم على الخلاف دعا الناس إلى البيعة له فبايعوه كارهين وأجبرهم على ذلك فأخذ منهم الرهائن لحبسهم في برج الأصبهذ وأمر الفلاحين بالإستيلاء على الأراضي الزراعية من أرباب الضياع وانتهاب أموالهم ، فانطلقوا يعيثون في الأرض فساداً ، كما أمر أن تمسح البلاد خلا من قاطع على ضياعه بزيادة العشرة ثلاثة ومن لم يقاطع رجع عليه فحسب ما عليه من الفضل ولم يحسب له النقصان وكتب بذلك إلى عامله على الخراج وهو شاذ ان بن الفضل يعلمه بهذا[٣] .

وما إن ورد على شاذان كتاب المازيار حتى أخذ الناس بالخراج فجبى جميع الخراج في شهرين وكان يجبى في اثنى عشر شهراً فضج الناس من سوء المعاملة في إلزامهم بدفع الخراج في غير ميعاده هذا من ناحية وفي دفعه جملة واحدة إلى عامل الخراج من ناحية أخرى مما يجعل البعض يهرب من بلده .

كان المازيار بعد أن عزم على جمع الخراج جملة واحدة وفي مدة محددة

---

(١) انظر أحمد أمين ـ ضحى الإسلام ١/ ٣٩ .

(٢) سورة الحجرات آية : ١٣ .

(٣) أنظر نص الرسالة في ملاحق الكتاب .

قدرت بشهرين أمر أن تأخذ من أهل الضياع رهائن فتحبس لحين دفع الخراج فكان أصحاب الضياع يدفعون مضطرين ، أما من هرب منهم فكانت تناله أقصى عقوبة قد تصل أحياناً إلى حد القتل ، وقد حدث أن هرب علىّ ابن يزداد العطار وهو ممن أخذ منه رهينة هرب من فعل المازيار من مدينة سارية ، وعلم المازيار بخبره فجمع وجوه القوم وأقبل يوبخهم ويعنفهم قائلاً كيف يطمئن الملك إليكم وكيف يثق بكم وأنتم لا تفون بيمين ولاتكرهون الخلف والعصيان فكيف يثق بكم ، فقال له بعض أهل المدينة نقتل الرهينة حتى لا يعود غيره إلى الهرب فأمر من فوره بصلب الغلام وكان مسلماً فسأله أن يأذن له أن يصلى ركعتين فأذن له فلم يمهلوه حتى يتم الصلاة وإنما جذبوه بشدة ثم خنق(١) .

كان المازيار مبغضاً للعرب أشد ما يكون البغض إلى حد أنه كان يقتلهم متى ظفر بهم بل كان يأمر أتباعه فى كور طبرستان ويحرضهم على قتل العرب فى كل مكان(٢) .

وهكذا كان يفعل بكل من يتقاعس عن دفع الخراج أو يماطل فيه كما كان يبيح للأكرة الموكلين منه منازل أرباب الضياع وممتلكاتهم ونساءهم وكل مافى حوزتهم متى امتنعوا عن دفع الخراج ، ولهذا كتب إلى الأكرة فى مدينة طميس أنى قد أبحتكم منازل أرباب الضياع وحُرُمهم إلا ماكان من جارية جميلة من بناتهم ، فإنها تصير للملك(٣) .

كان المازيار مبغضاً وكارهاً للعرب أشد ما تكون الكراهية إلى حد أنه كان يقتلهم متى ظفر بها وكان يقتل بالظنة وبخاصة أبناء العرب ، وهذا يؤكد لنا أسباب ثورته وخروجه على الخلافة ، فيذكر المؤرخون أن المازيار جمع من مدينة سارية وحدها مائتين وستين شاباً ممن يخاف ناحيته عن طريق الخدعة حيث أظهر لهم أنه يريد جمعهم للمناظرة ثم بعث بهم إلى الأكرة المختارين من الدهاقين فقال لهم إن الأبناء هواهم مع العرب والمسودة ولست آمن

---

(١) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٩/ ٨٣ .

(٢) عبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ٤١٠ .

(٣) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٩/ ٨٤ .

غدرهم ومكرهم وقد جمعت أهل الظنة ممن أخاف ناحيته فاقتلوهم لتأمنوا ولا يكون فى عسكركم ممن يخالف هواه هواكم(١) .

وبهذا تفاقم خطر المازيار واستطار شرره وانتشر فساده وأصبح القضاء عليه أمر لازماً على خليفة المسلمين الذى نهض من فوره فكتب إلى عبد الله بن طاهر يأمره بمحاربة مازيار والقبض عليه فعهد ابن طاهر إلى عمه الحسن بن الحسين بمحاربة المازيار وأرسله إلى قومس على رأس أربعة آلاف جند فعسكر على حد جبال شروين ، ووجه المعتصم من عنده محمد بن إبراهيم بن مصعب ليدخل طبرستان من نواحى متعددة وقد تمكن الحسن بن الحسين من هزيمة شرخاستان أحد قواد المازيار على مدينة سارية وقتل عساكره وأسروا شهرياراخو سرخاستان ثم قتلوه(٢) .

كان قتل شهرياراخو والى بلدة سارية من قبل المازيار وهزيمة عسكره خطوة إيجابية على طريق النصر للجيوش الإسلامية التى توجهت للقضاء على ثورة المازيار والإحاطة به .

لجأ الحسن بن الحسين أحد قواد المسلمين من قبل عبد الله بن طاهر إلى المكر والخداع للإحاطة بالمازيار فأوقع بين المازيار وبين عم له يسمى القوهيار ، كما فعل مثل هذا حيان بن جبله مولى عبد الله بن طاهر الذى توجه إلى قومس فعسكر على حدود جبال شروين ، وهناك أخذ فى استمالة قارن بن شهريار ابن أخى المازيار ووعده حيان أن يملكه على جبال أبيه وجده كما كان من قبل فى مقابل أن يسلم إليه الجبال ومدينة سارية إلى حدود جرجان فوافق على ذلك ودخل حيان جبال شروين ومدينة سارية واستولى عليها(٣) .

وما أن بلغ الخبر المازيار حتى اغتم ونهض من فوره وأطلق سراح عشرين ألف من المسلمين مابين إسكاف وخياط وحداد كان قد حبسهم كما أطلق سراح قواده وكاتبه وجهبذه وأمرهم أن يأخذوا الأمان من العرب لحماية نساءهم

---

(١) الطبري - تاريخ الرسل والملوك ٩/ ٨١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) ابن الأثير - الكامل في التاريخ ٥/ ٤٥٧ .

وأموالهم ، كما أسرع كذلك قوهيار يأخذ الأمان لنفسه على أن يسلم إليهم مازيار .

كان قوهيار هو الخيط الذى توصل به الحسن بن الحسين إلى المازيار وكانت خيانته سبباً فى القبض على المازيار وأسره ، وقد أرجع المؤرخون خيانة قوهيار للمازيار إلى حقده عليه وكراهيته له حيث كان قوهيار يحمل فى صدره حقداً قديماً والسبب فى ذلك أن قوهيار قديماً كان يملك جبال طبرستان وكان لمازيار السهل وجبال طبرستان ثلاثة جبال هى :

(أ) جبل ونداد هرمز .

(ب) جبل أخيه ونداسنجان .

(ج) جبل شروين بن سرخاب .

فلما قوى المازيار واشتدت قوته بعث إلى قوهيار هذا وكان ابن عمه ، وقيل أخوه فعزله عن جبله وولى مكانه والياً من قبله يُقال له (درى) ، فلما تمرد مازيار وأظهر العصيان أصبح فى حاجة إلى رجال يقفون بجواره لمحاربة عبد الله بن طاهر فدعا ابن عمه القوهيار ورد عليه جبله وأظهره على أمر الأفشين ومكاتبته له .

أما الدرى فقد أسند إليه المازيار قيادة العساكر والقوات التى ستقف فى وجه عبد الله بن طاهر ، وظن المازيار أنه أصبح فى مأمن من بطش الخليفة ، فقد استوثق من ناحية الجبل بابن عمه القوهيار وظن أنه لن يؤتى منه لأن الجبل ليس فيه طريق للعساكر والقوات المحاربة نظراً لكثرة المضايق والشجر الذى فيه ، كما توثق فى الوقت نفسه من المواضع والمداخل التى يتخون منها بقائده الدربى وأصحابه وقواته .

أما المازيار فقد مكث فى مدينته فى نفر يسير من خاصته فى أمن وسلام .

وأقبلت قوات عبد الله بن طاهر يقودها الحسن بن الحسين وتآمر مع القوهيار على الظفر بالمازيار كما سبق أن أشرنا .

انتهت المؤامرة التى دبرت ضد المازيار بأسره والإمساك به ، إذ لم يشعر المازيار وهو فى قصره إلا بالرجالة والخيل تحيط به من كل مكان وأخذ أسيراً .

كانت العلاقة بين عبد الله بن طاهر والى خراسان وبين الأفشين أحد قواد

المعتصم علاقة الخصام والنزاع نتيجة الصراع الدامى على تولى المناصب وكان عبد الله بن طاهر قد نمى إلى علمه أن الأفشين كان يراسل المازيار ويشجعه على العصيان(١) .

فلماأصبح المازيار أسيراً فى يد عبد الله بن طاهر وعده إن هو أظهره على كتب الأفشين أن يسأل أمير المؤمنين الصفح عنه فأقر المازيار بذلك ودفع بالكتب إلى عبد الله بن طاهر ووصلت الكتب ومعه المازيار إلى يد المعتصم ، وسأل المعتصم المازيار عن الكتب فأنكر بها فأمر بضربه حتى مات فأخذ وصلب بجانب بابك .

وهنا يجب أن نشير إلى حقيقتين هامتين يجب التأكيد عليهما :

الأولى : أن هذه الكتب التى وجدت مع المازيار كانت نقطة البداية فى تورط الأفشين واتهامه بالتواطؤ مع المتمردين والثائرين على الخلافة العباسية الذين حاولوا قلب الحكم والتخلص من حكم العرب .

الثانية : القرب الزمنى بين حركة بابك الخرمى وخروج المازيار على الخليفة ، فهذا يدل دلالة واضحة على وجود علاقة كانت تربط بين الحركتين وأن كليهما كان يعمل على محو الإسلام وهدمه والتخلص من الحكم العربى ووطئته .

ومما يؤكد هذا إشارة المصادر الأصلية إلى وجود هذه العلاقة فيذكر الطبرى نصاً (أن المازيار كان يكاتب بابك ويحرضه ويعرض عليه النصرة) ، هذا بالإضافة إلى أن صلب المازيار بجانب بابك دلّ على القرب الزمنى بينهما .

وبهذا إنتهت فتنة فارسية أخرى ترتب عليها القضاء نهائياً على أسرة قارن العتيقة من طبرستان وأضيفت طبرستان إلى آل طاهر كما كانت أول مرة منذ أيام المنصور وأصبحت تضاف إلى عمال خراسان .

ثالثاً- دور الأفشين فى فتنة المازيار:

لاشك أن للأفشين القائد المغوار للخليفة المعتصم دور كبير فى تشجيع المازيار على الخروج والعصيان ، فبعد أن انتصر الأفشين على بابك وتم

---

(١) اليعقوبي - تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٣٥ .

التخلص منه ارتفع شأنه وعظم محله عند الخليفة حتى أن الخليفة توَّجه بتاجين من ذهب وقرَّبه إلى نفسه ، فطمع الأفشين آنذاك فى ولاية خراسان التى كانت تحت سيطرة آل طاهر ، فكتب إلى مازيار يستميله ويظهر له المودة والمحبة وأعلمه أن المعتصم قد وعده ولاية خراسان ، وكان الأفشين قد بلغته كراهية مازيار لآل طاهر فرجى أن يكون ذلك سبباً لعزل عبد الله بن طاهر .

كما أن الأفشين نفسه كان يحقد على آل طاهر ويضمر لهم البغض والشنأن وكان يعمل جاهداً على الإيقاع بهم عند الخليفة وتعكر صفو العلاقة بينهم طمعاً منه فى أن يتولى خراسان .

وقد تمخضت هذه المراسلات والكتب التى بعث بها الأفشين عن عصيان المازيار وإعلان خروجه على الخليفة ، ورفض إعطاء الخراج تماماً لا الى عبد الله بن طاهر ولا إلى الخليفة المعتصم ، فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يأمره بمحاربته وتأديبه ، وكتب الأفشين من جهة أخرى إلى المازيار يأمره بمحاربة عبد الله بن طاهر والتصدى له وأعلمه أنه سيرفع من مكانته عند المعتصم ويحسن من سيرته ومازال يحرضه على الخروج والعصيان حتى منع المازيار الخراج عن والى خراسان ثم ما لبث أن تمادى فى عصيانه بسبب كتب الأفشين التى كانت تتوارد عليه مرة تلو المرة مما شجعه على خلع ربقة الطاعة والانقياد لأمير المؤمنين المعتصم وامتنع نهائياً عن حمل الخراج إلى مقر الخلافة العباسية مما دفع المعتصم إلى محاربته والقضاء عليه .

رابعاً. اعتراف المازيار على الأفشين :

بعد أن تم لوالى خراسان الاحاطة بالمازيار وإلقاء القبض عليه بعث به إلى المعتصم فى سامراء يرى فيه رأيه ويحدد مصيره فدخل المازيار سامراء فى عام خمس وعشرين ومائتين من الهجرة وهو يركب بغلاً لأنه امتنع عن ركوب الفيل وقبل أن يأمر المعتصم بقتله وصلبه بجانب بابك أمر أن يجمع بينه وبين الأفشين فى مواجهة صريحة ليقف المعتصم على حقيقة العلاقة الغامضة التى كانت تربط بينهما .

ويبدو أن ثمة أنباء قد وصلت إلى أسماع المعتصم عن المراسلات

والمكاتبات التى كانت تتم بين الأفشين والمازيار فأحب أن يتأكد من هذا الخبر. وقد تبين بالفعل أن الأفشين كان على علاقة به وأقر المازيار بعد جهد بأنه كان يكاتبه ويحسن له الخلاف والمعصية وأنه السبب الأول فى خروجه وعصيانه فأمر المعتصم بحبس الأفشين وضرب المازيار أربعمائة وخمسين سوطاً حتى مات(١).

وهكذا أدت المراسلات الخفية بين الأفشين والمازيار إلى اتساع الفجوة بين والى خراسان عبد الله بن طاهر والمازيار فامتنع الأخير عن دفع الخراج إليه ثم تطورت الأمور واتسعت الخلافات حتى امتنع المازيار نهائياً عن دفع الخراج.

وكان ذلك بتدبير الأفشين وتحريضه ، ولسنا بعيدين عن الصواب إذا قلنا أنه الأفشين بمكره وخداعه ودهائه ثم بخيانته للخليفة والأعمال التى وكلت إليه كان من وراء الفتن والحركات الهدامة التى قام بها الموالى من الفرس ضد الدولة العباسية وأنه لم يكن القائد المخلص الذى يعمل لمصلحة الدولة الإسلامية أو يسعى إلى إخماد الفتن وتسكين الثائرات بل كان يعمل فى خفاء على تشجيع الفتن والاضطرابات داخل الدولة مستغلاً منصبه ومكانته لدى الخليفة العباسى .

خامساً ـ حقيقة حركة المازيار:

تعد حركة المازيار بن قارن حاكم طبرستان من الحركات الفارسية المختلفة فى الأهداف والغايات ، حيث كان الغموض يخيم على أسباب الخلاف الذى قامت على أثره ، ولذا اعتبرها بعض الباحثين جزءاً من حركة إصلاحية سادت العجم بدأت ببابك بقصد إقرار مبادىء مزدك الإصلاحية(٢) فهو فعل مثل بابك بالنسبة للمعدمين فطلب من الفلاحين الإستيلاء على الأراضى من أصحاب الضياع والاقطاعيين على أن تؤجر لهم إذ أمر أن تمسح البلاد ، ونفى أن تكون حركته على علاقة بالخرمية كحركة هدامة للإسلام فهو وأخوته تسموا بأسماء إسلامية ويبدو أنهم تمسكوا بالإسلام(٣) .

---

(١) الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك ٩/ ٨٠ ، وابن الأثير ـ الكامل ٥/ ٤٧٠ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) عبد المنعم ماجد ـ العصر العباسي الأول ١/ ٤٠٨ .

ومع ذلك فحركته كان مبعثها الرغبة فى الاستقلال بطبرستان عند ولاة خراسان التى كانت منذ أن فتحت طبرستان فى أيام المنصور تشكل جزءاً من أعمالهم واستمر الحال على ذلك فى عهد المازيار على الرغم من أن المازيار كان هو الذى أخضع جبال شروين ولم يكن تابعاً من قبل لولاية آل طاهر فى خراسان ، كذلك قد يكون الأفشين له يد فى دفعه إلى التمرد والعصيان وربما حرضه على الاستقلال عن آل طاهر حيث كان يحقد عليهم ويريد عزلهم بعد أن انتصر على بابك بعد أن فشل ابن طاهر فى التغلب عليه[١] .

ومع تقديرنا لهذا الرأى الذى يجانبه الصواب ولم يبعد كثيراً عنه ، فإن ماقام به المازيار من مخالفة وعصيان قد يكون جزءاً من حركة إصلاحية سادت العجم بهدف إحياء مبادىء مزدك الإصلاحية ، وقد تكون حركة قام بها المازيار بهدف الاستقلال بطبرستان عن ولاة خراسان بحيث تصبح طبرستان خاضعة لسلطة الخليفة رأساً بدون وساطة وبعيداً عن ولاة خراسان ، ثم تدخل الأفشين فوسع دائرة الخلاف وأطمع المازيار فى الاستقلال النهائى والتخلص من حكم العرب فهذه احتمالات واردة ولا تبعد كثيراً عن الصحة والصواب ولاسيما مع وجود القرائن التاريخية التى تقوى هذه الاحتمالات وتزيد من صحتها ، ومع ذلك فإننا لا نستبعد وجود علاقة تربط بين حركة المازيار والخرّمية ، وقد أشار إلى وجود هذه العلاقة الإمام البغدادى حيث قسم الخرامية إلى صنفين :

الصنف الأول : الذى ظهر قبل الإسلام . **والثانى** : الذى ظهر بعد الإسلام .

وكان منهم المازيارية نسبة إلى مازيار بن قارن[٢] .

وكانت فتنة مازيار قد عظمت فى ناحيته إلى أن أُخذ فى أيام المعتصم وصلب بسرى من راى بجوار بابك الخرمى[٣] .

ومن الأسباب التى تؤكد الصلة والعلاقة التى كانت تربط بين حركة المازيار وطائفة الخرامية مايلى :

---

(١) المرجع السابق ١/ ٤٠٩ .

(٢) الفرق بين الفرق ص١٦١ .

(٣) المصدر السابق .

١ ـ ما صرحت به المصادر الأصلية الصحيحة عن اتصال المازيار ببابك الخرمي وعن مكاتبته له أثناء الفتنة التي أثارها بابك حيث كان يحرضه ويعرض عليه النصرة .

٢ ـ التقارب الزمني بين الحركتين والاتحاد في الهدف والغاية بينهما يؤكدا أيضاً وجود هذه العلاقة ويثبتها ، حيث صلب كل منهما بجوار الآخر بعد ثبوت إدانتهما .

٣ ـ إن تسمية المازيار باسم محمد لا تقطع بالدليل على صحة إسلامه لأنه ليس بالضرورة مطابقة الأسماء للديانات التي يعتنقها الأفراد وإنما تجرى الأسماء مجرى العرف بين الناس وليس على حسب قواعد أو قوانين مقننة .

ومع هذا فإنه ليس بوسعنا أن نحكم على المازيار بعدم إسلامه بعد أن عاش في ظل الإسلام والمسلمين فترة غير قصيرة من الزمن ، ويبدو أنه كان مسلماً في الظاهر والعلن ومجوسياً في الباطن والخفاء .

بينما يذهب بعض الباحثين إلى أن حركة المازيار وبابك والأفشين جميعاً عملوا على محو الإسلام من بلادهم والتخلص من حكم العرب ، فهذه الثورة التي تنسب إلى مازيار وأمثالها كانت في الواقع ثورة دينية سياسية معاً يُراد بها الاستقلال عن الدولة العباسية وهي في الوقت نفسه حركة شعوبية تعمل على الحط من شأن العرب وإزالة دينهم ودولتهم[١] .

ونحن نرى أن حركةالمازيار وخروجه على الخليفة تعد حلقة من سلسلة الحركات الهدامة التي قام بها الفرس بهدف زعزعة الحكم الإسلامي ومحاولة التخلص منه ، وهو الهدف المنشود الذي كان يجمع بين العناصر الفارسية الثائرة جميعاً ، ولاشك أن شعور الفرس بأهميتهم ومنزلتهم كعناصر فعالة في الدولة العباسية أثار فيهم روح الشعوبية والتعصب لجنسهم وتراثهم القويم ، ولهذا كان من السهل عليهم أن ينبذوا تعاليم الإسلام ويحاولوا الخروج عليها ، هذا من ناحية .. كما أن إسلام غالبية الفرس من أهالي خراسان وبلاد ما وراء النهر كان إسلاماً ظاهرياً وشكلياً إذ لم يتمكن الإسلام في نفوسهم ولم يصل إلى قلوبهم ، وإنما كانوا لا يزالون متمسكين بعقائدهم

---

(١) إبراهيم حسن ـ تاريخ الإسلام السياسي ٢/ ٩٤ .

المجوسية القديمة ولـم يجـدوا حرجاً فى الرجوع أو العـودة إلى هـذه العقـائد إذا كـان هـذا سيـحقق لهـم مكسـباً مـادياً أو مغنمـاً دنيـوياً أو سـيادة على غـيرهـم من النـاس .

وتبـدو هـذه الحقيقة واضحة للعيـان فيمـا لا يحتـاج إلى دليـل أو برهـان فيمن يدقـق النظـر فى الأسباب والدواعى التى دعـت هـؤلاء الثائرين إلى القيـام بهـذه الحـركات فى وجـه الدولـة الـعباسيـة ، فأكثر هـذه الأسـباب ظاهرها الثـأر لأبى مسـلم الخراسانى والانتقـام من قـاتليـه ، وباطنها التمـرد على الإسـلام والتخلص من حـكم العـرب .